الكتاب

[illegible] القراء في الصفحة الماضية [illegible] مما عرفناه من [illegible] الكتاب ، الذي صدر حديثاً [illegible] [illegible] [illegible] بعض [illegible] الأخير [illegible] فقد قال في [illegible] الطالعة في المرء ولا سيما [illegible] . وقلما تجد كتاباً [illegible] كتب لا [illegible] . [illegible] الفارق بالتأليف [illegible] [illegible] في [illegible] لا [illegible] الكتاب جيداً كان أو [illegible] . [illegible] الجلد أو [illegible] [illegible] من يقول [illegible] صحة هذا الكتاب [illegible] [illegible] وإن [illegible] وإن هذه الأسفار التي مؤلفوها [illegible] ولا [illegible] الا [illegible] ولا [illegible] فيه شعور وعواطف ولا [illegible] . [illegible] من [illegible] والمال والذهب [illegible] . وذلك لا [illegible] في الكتاب وهو في [illegible] لأن المرء في [illegible] لا يستطيع أن [illegible] قراءة كتاب قرأه فلا يكاد [illegible] القراءة [illegible] على [illegible] ولا [illegible] كتاب الا [illegible] في أدوار مختلفة من الحياة ومن ثم كان من الكتب [illegible] أو [illegible] .

قال [illegible] المرء في [illegible] الا يكون [illegible] الكتب [illegible] . [illegible] في هذا الباب لأن [illegible] من [illegible] في [illegible] المرء في [illegible] أن يقف على كل شيء [illegible] كل [illegible] في [illegible] كل كتاب [illegible] في [illegible] يستطيعون أن [illegible] كتاب [illegible] أن [illegible] . [illegible] من ذلك [illegible] أو [illegible] من الكتب [illegible] أو كتب . [illegible] .

وقال آخر: لا ينشرح المرء بمعرفة القراءة إلا بعد خروجه من المدرسة. وكثير من المطالعين لا يعجبون من الكتب إلا ما حدث وضعه وقلما يرجعون إلى الكتب المؤلفة قديماً. وأورد المؤلف أسماء كثيرين أولعوا بالمطالعة منذ عرفوا القراءة بل منذ فطموا عن الثدي أو نحوه مثل أسقف دافرانش هويه (١٦٣٠ — ١٧٢١) والفيلسوف جان جاك روسو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) والشاعر يوحنا أطلون بوشه (١٧٤٥ ـ ١٧٩٤) وبنيامين فرنكلين (١٧٠٦ ـ ١٧٩٠) وهنري بيل القصصي النقاد الفرنسوي (١٧٨٣ ـ ١٨٤٢) ولامارتين الكاتب الفرنسوي (١٧٩٠ ـ ١٨٦٩) وسلفيو بليكو الأديب الإيطالي (١٧٨٩ ـ ١٨٥٤) وجورج صاند القصصية الفرنسوية (١٨٠٤ ـ ١٨٧٦) وشارل ديكنز وكثير ما كانوا يحرمون عيونهم إلا بالكتب بأنفسهم بفضل تربية آبائهم وأمهاتهم الذين كان حظهم من [illegible] بين العقلاء وأقوال الحكماء فانغرست البذور الصالحة في عقول أبنائهم وجاء منهم فلاسفة وكتاب معدودون. وقيل من [illegible] [illegible] أن معلميهم كانوا يعيشون في خلاء بين الرياض والغياض يطربهم صوت العندليب ويؤرقهم صوت القمري ويسحرهم خرير الماء وحفيف الهواء.

وقال في فصل المطالعة والتصحيح: جعل سلس الفيلسوف الروماني في القرن الأول قبل المسيح القراءة بصوت عال من جملة الرياضات النافعة للصحة وأن المطالعة على هذه الصورة مسرور به العقل والنفس وذلك لأن جرس الصوت يساعد كل المساعدة على تعليق المعنى في الذهن وقد قال [illegible] ولست وكونه أنه لا شيء أنفع للعقل من القراءة بصوت جهوري وقفاً على ضعف الأعضاء إن كان ضعيفاً وقوتها إن كان قوياً وقد الشعوب الشرقية في الكلام تنشيط وفيه للأفكار إصلاح بل تحقيق وكثير من يتعاطون عملاً شاقاً كالخطابين والممثلين

مخصوصون عما يلقيه عليهم على بعض من الأصوات ولا يرى بعد ذلك في أن يقرأ الإنسان بل أن يقرأ بنفسه ويرى أن الطريقة الأولى أحسن الرعي والحسان لأن لكل قارئ نغمة يكون بها التأثير في مخيلته وله طريقته في الفهم والتعمق لا يفهم بها سواه

ومن العادة في بعض المدارس والأديار أن يقرأ قارئ شيئاً من الأدب والقصص والتلاميذ جلوس على المائدة وكان ذلك شأن شارلمان يتلى على مسمعه وهو على الخوان كتاب القديس أوغسطينس وكان الفيلسوف [illegible] يحب أن يقرأ له ويقول إني أحب هذه الطريقة لأنها كانت عادة القدماء وأشبه بهم وكان الكردينال موري (١٧٤٦ ــ ١٨١٧) يقول إن المرء إذا خلا بنفسه يجب أن يطالع كتاباً يفيده حقيقة وإذا كان مع جماعة فالأحسن أن يتلى عليه ما يحسنه ويبهجه لأن الناس في القراءة مختلفة في احتياجهم

قال مؤلفه: أما كتب الحكم والآراء فالأحسن ألا يقرأ منها إلا قطعة قطعة لا دفعة واحدة ولا يصح بكلمات الحكماء إن المرء لا يتبع الأشخاص الصالحين إلا واحداً واحداً هكذا يجب عليه أن يستوفي الآخذ من كتب الحكماء. وقال لامبرتين (١٧٣٥ ــ ١٨٢٤) إن الطريقة الوحيدة في مطالعة كتاب في الحكم بدون أن يمل هو أن يفتح كما صحت الرغبة وبعد أن يستغرق فيه على ما يجده منه يطبقه بعد صفحة أو صفحتين، والحكم يكرر فمجموعها يجب أن يكون أشبه بما في باقة مجموعة زهور دفعة واحدة فلا يؤتى في غيابها واحدة منها.

ويختلف طريقة المطالعة سرعة أو بطئاً باختلاف الأشخاص والمكان ويقصد الأمر بطاقة القارئ وما يقرأ وحالة نفسه وقوة انتباهه وأوقاته وشخصه

ما تحويه وأثر الكتاب فيه وإن كنا [illegible] في الفلسفة لا نقرأ كما نقرأ قصة ونقرأ في الكتب المدققة لا نطيق تصفحا وكل من يشتغلون بين الكتب والمطبوعات والمخطوطات ويمرون كثيراً مما بين أيديهم لا يتسعهم الا ان يتصفحوا تصفحا

وكان [illegible] العالم الفرنسي [illegible] ١٨٢٢ ـ ١٨٧٦ طريقة خاصة في المطالعة متى وقع له تأليف جديد نظر في عنوانه ثم يرجع إلى الصفحة الأخيرة منه ويتصفح المقدمات والفهارس والتنبيهات ويلقي النظر على كل فصل [illegible] وكان له من الوقوف على التأليف ما يمكن معه من معرفة حقيقة المصنف في جملته إلى أنه يعرف المصادر التي أخذ منها المؤلف. ومن أرباب الاختبار في معرفة القراءة من يعرفون ماهية الكتاب من تقليب أوراقه ويدركون ما في صفحة منه من الفوائد بمجرد إلقاء النظر عليها ومنهم من يعرفون كيف يستخرجون الفوائد فلا يقع نظرهم إلا على ما يهمهم منها ولا يضيعون ثانية من أوقاتهم في النظر بما لا يفيدهم.

ورأى بعض أهل العلم أن المطالع متى فرغ من [illegible] يكون صاحبه في تذكر الفوائد التي قرأها فالأولى له أن يقيدها والا كانت الفوائد [illegible] يضطر إلى الرجوع إلى مضامين الكتاب. ومن عشاق المطالعة من لا يكتفون بتقييد الفوائد في كراريسهم بل يكتبون على كل صفحة تنبيهه كتابة تعلو على الكتاب نفسه وكان أكثر [illegible] الكتب ينتقد هذه الطريقة [illegible] كتب من بعده لا [illegible] يعني الاستفادة لا [illegible] الا أن [illegible] كثيرة [illegible] الكتاب لا [illegible] على الهوامش [illegible] في كل ما يورده.

يقول الفيلسوف سينيكا والأديب [illegible] إن الإكثار من الكتب يشتت الفكر وإن [illegible] القراءة كتبًا قليلة أفضل من قراءة أشياء كثيرة. وقال غيره لا فائدة للاستكثار من الكتب. ومعلوم أنه في هذا العصر الذي [illegible] الورق [illegible] في هذا العصر الذي نشأت فيه [illegible] [illegible] أي [illegible] في الطبع والنشر أن الكتب تنمو وتتكاثر [illegible] يوم إلى يوم. ومما أحصى [illegible] الفيلسوف اليوناني ([illegible] ق.م) [illegible] [illegible] الأسكندري [illegible] [illegible] أن يكون [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] المؤلف [illegible] [illegible] منذ [illegible] الطباعة إلى القرن الماضي [illegible] طبع في جميع أنحاء الأرض من سنة ١٤٣٦ إلى سنة ١٥٣٦ [illegible] ألف مجلد وفي سنة ١٥٣٦ إلى ١٦٣٦ — ٥٢٥ ألفًا وفي سنة ١٦٣٦ إلى ١٧٣٦ مليون و ٢٢٥ ألفًا وفي سنة ١٧٣٦ إلى سنة ١٨٢٢ [illegible] مليون و ٨٣٩٦٠٠ فيكون مجموع [illegible] [illegible] [illegible] مليون مجلد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فإن كل كتاب ٣٠٠ نسخة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أربعة [illegible] ٣٣٦١٣٠٠٠ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] التوراة [illegible] [illegible] ٣٦ مليون نسخة وإن كتاب الإحصاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إذا [illegible] كتب [illegible] [illegible] [illegible] ألف مجلد [illegible] كتب الأرض وقدر أحد الأميركان عدد [illegible] في الولايات المتحدة [illegible] ٢٠ مليونًا في [illegible] و ١٥٠ مليونًا [illegible] [illegible] الكتب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] و ٥٠ مليونًا في [illegible] الكتب العامة و ١٢ مليونًا في مكاتب المدارس

والجامعات بها ملايين من التلاميذ وان في اوربا الغربية مليارًا وثلاثمائة مليون مجلد وفي اوربا الشرقية اربعمائة وستين مليون مجلد و٢٤٠ مليونًا في سائر اقطار العالم . قال المؤلف ويرينا اهل الاحصاء خصوصًا ان المطابع تصدر الكتب بالالوف فيقدر الآن ما يصدر كل سنة من الكتب في الشرق والغرب بخمسة وسبعين الف كتاب جديد منها ٢٥ الفًا في المانيا و١٣ الفًا في فرنسا و١٠ آلاف في الولايات المتحدة و٧ آلاف في انكلترا [illegible] فاذا جعلنا [illegible] الف [illegible] تكون كتب العالم قد زادت كل عام ٧٥ مليون مجلد

قال مؤلفنا في اختيار الكتب وفي تفضيل القديمة أم الحديثة فرأى ان الشبان يميلون الى [illegible] وادبهم ويؤثرون الرجوع الى القديم وان كان الجديد في الغالب خيرًا منه والقديم [illegible] لتصحيح الافكار وتهذيب الآداب . وفي كتب القدماء كثير مما لا مثيل له في آثار المحدثين قال . وعندي ان يختار من الكتب الحديثة احسن ما في احدث اطراف ارتقاء المعرفة وآخر ما وصل اليه كله اما في الأدب فيختار احسن كتابة [illegible] عهدهم فالآداب القديمة كما قيل كلما تقدمت تجددت

ولا مرية في ان المطالعة تؤثر في عقولنا و[illegible] ونفوسنا [illegible] والحرية من العقول ان [illegible] على ذلك ما [illegible] من السرور والنفع قال جون [illegible] في كتابه [illegible] حب الكتب ومعرفتها [illegible] من يعرفون [illegible] الكتب التي يطالعونها [illegible] الناس كذلك حتى يعرفه [illegible] الكتب [illegible] وتكلم المؤلف على الروايات وقال ان بعضهم [illegible] الهيئة الاجتماعية [illegible] ذكر كلمة الفيلسوف النقاد الالماني [illegible] أن يجعل [illegible] من الكتب ما يؤثر في افساد الاخلاق [illegible]

في هذا الخط وعندي انه لا يجب الحرص كثيراً [illegible] الاولاد
من الاحاديث فان الاولاد كالكلاب لهم حاسة قوية في الشم يكتشفون كل
شيء ولا سيما ما كان من امور الشر وعليه [illegible] الا كل
على ان الروايات خيرها اقل من شرها وقبيحها اصعب من [illegible]
فهي لا تعد في باب مطالعة الكتب لانها تكتب بسرعة دون ان [illegible]
البليغ وما الجريدة كما قال [illegible] الا كتبة المكر. وقال صاحب [illegible]
يده ان [illegible] من الحرص وحب الكتب قبل ان يصبح في [illegible]
[illegible] الكتب التي في [illegible] ان مطالعة [illegible] دون [illegible]
علماء وارباب فنون حقيقيين فهي حمة [illegible] كل [illegible]
الفراغ القوة السليمة التي لا تريد الا [illegible] قوة في حدة [illegible]
[illegible] الكتب كان الكتب [illegible] المدرسة وكما قلت [illegible] وقوة
الاعصاب. وقال جبرائيل [illegible] ان الجريدة في المدارس الحقيقي للكتب
وما الجرح الذي حاولته الجريدة الا رخص الكتب وعندي ان [illegible]
ان يرخص فيها كل شيء [illegible] امراض النفوس [illegible] المستقبل [illegible]
نوعين من الكتب [illegible] الذي تطبع منه [illegible]
التصوير والمعنى والكتب البسيطة التي تباع بارخص [illegible] من قيمة [illegible]
جمهور قارئها من [illegible] وهذا الضرب من الكتب [illegible]
ويبقى له [illegible] فالفلاح والعامل يجب ان [illegible]
وحاجتهم ماسة الى [illegible] كتب القراءة [illegible] الكتب
من [illegible] في المستقبل [illegible] ان [illegible]

وقال مؤلفنا في الفصل الذي عقده للكلام على ترقي الكتب [illegible]

إن أعظم ما عرف من النكبات التي أصابت الكتب (١) على ما ذكره بيروسوس المؤرخ الكلداني من أهل القرن الثالث قبل المسيح عليه السلام، وإسكندر بوليستور الكاتب العالم اليوناني من أهل القرن الأول قبل الميلاد أن ملك بابل نبوناصر الذي أرخ به ملكه سنة ٧٤٧ ق. م أمر بإحراق جميع تواريخ أسلافه ليستدل بذلك عهدا [illegible] على الأمم ويكون عهده مبدأ يجرون على التأريخ به في جميع البلاد. وأحرق الامبراطور شي هوانغ تي الصيني سنة ٢١٣ ق. م جميع الكتب التي في مملكته ولم يبق منها إلا المصنفات التي فيها تاريخ أسرته وعلم النجوم والطب وذلك [illegible]

قال المؤلف: وأعظم مصائب الكتب من البلايا في الحرائق والحروب الفتن الدينية وذلك لأن الكتاب هو المعبر عن الأفكار وله من الصفات ما يجعله يجول في كل مكان ومن القوة والتأثير ما لا يقدر له [illegible] بعد المكان فيه كل لسان أي أن يحرق لأنه الناطق الذي لا يسأم ولا يسأم الحاكمون والناهضون. فقد أحرق الرومان كتب الإسرائيليين والمسيحيين والفلاسفة وأحرق الإسرائيليون كتب المسيحيين والوثنيين وأحرق المسيحيون كتب الوثنيين والإسرائيليين وأحرق المسيحيون معظم كتب أوربا حين أحدثوا الكنيسة في القرن الثالث المسيحي كتب قدماء الأحبار وأحرق الكردينال كسيمنس أو زيمنس الأسباني والمطران الحربي (١٤٣٦—١٥١٧) عندما افتتح الأندلس على عزمه خمسة آلاف مصحف وأحرق أهل المذهب البروتستانتي من الثورة الدينية في الكنائس على أثر عهد الإصلاح الديني كثيرا من الأديار والآثار القديمة وأحرق كرومويل مكتبة أكسفورد وكانت من أعظم خزائن الكتب في أوربا

---

(١) المقتبس [illegible]

ثم عاد المؤلف الى الكلام عن مكتبة الاسكندرية ثانية ورأي المسلمين من احراقها فقال . الكلام عن مكتبة الاسكندرية التي شاع انها احرقت بأمر الخليفة عمر عند استيلائه على الاسكندرية سنة ٦٤٠ وقلنا ان هذه المكتبة . لكن ما وجد في الاسكندرية منها وان أكبر قسم منها حرق قضاء وقدراً سنة ٤٧ قبل المسيح عند هجوم جند يوليوس قيصر وان القسم الآخر حرق بعد هذا التاريخ بنحو أربعة قرون أي سنة ٣٩٠ على يد الاسقف أو البطريرك ثاوفيلس الذي كان يرمي الى ابادة الوثنية من اوساطها ولم يعثر على كتب واحدة منها مؤرخو ذلك الزمن من عهد [illegible] الى عهد عمرو بن العاص عامل الامام عمر ما يستدل منه [illegible] بأنه أنشئت في الاسكندرية مكتبة ولا يرجح أن يحدث من ذلك تدمير أسبابه لان الآداب والفلسفة الوثنية كانت في تلك الحقبة من الدهر قد حكم عليها [illegible] في كل مكان حتى ان جوستنيانوس أمر باغلاق مدارس آثينة .

ومعلوم ان ما ينسب لعمر من الجواب الذي اجاب به عمرو بن العاص وقد سأل عما يفعل بمكتبة الاسكندرية فقال له « اذا كان ما فيها من الكتب يوافق ما في كتاب الله فلا فائدة منه واذا كانت مخالفة له فلسنا بحاجة فاحرقها » [illegible] فقد قال من أورد هذه القصة ان عمرو بن العاص وزع هذه المكتبة على حمامات الاسكندرية فاستعملت بها في احماء حماماتها ستة أشهر هذا مع ان الورق الذي [illegible] لا يصلح لاشعال النار فلا يصلح لان تدوم به طويلاً

ثم استشهد بقول جان جاك روسو في خطابه في العلوم والفنون : « ولو كان غريغوريوس الكبير مكان عمر والانجيل محل القرآن لكانت مكتبة الاسكندرية

سادت أيضاً على أن البابا غريغوريوس المشار إليه ٥٩٠ - ٦٠٤ [illegible] بحرق كتب القدماء علماً كما اتهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١) ولكن التاريخ لا يظلم أحداً

وقال في كلامه على ما يكتب عليه الكتاب أن الرق هو من اختراع برغامس (برغامه) في آسيا الصغرى والمظنون أنه عرف قبل خمسة عشر قرناً أما الورق فالأرجح أن الصينيين هم الذين اخترعوه وأن العرب نقلوه إلى أوربا كما قال الدكتور غستاف لوبون في كتابه حضارة العرب: أن الكتاب المخطوط العربي الذي عثر عليه القصيري ([illegible]) في مكتبة الاسكوريال مكتوب

---

(١) قال المحقق برهان الدين البقاعي في مقدمة نظم الدرر منتصراً لجواز النقل من الكتب القديمة خلافاً لمن أنكر عليه ذلك: ونص الشافعي ظاهر في ذلك قال المزني عنه في مختصره في باب جامع السير وما كان من كتبهم فيه طب وما لا مكروه فيه بيع وما كان فيه شرك أبطل وانتفع بأوعيته وقال في الأم في سير الواقدي في باب ترجمة كتب الأعاجم قال الشافعي وما وجد من كتبهم فهو مغنم كله وينبغي للإمام أن يدعو من يترجمه فإن كان علماً من طب أو غيره لا مكروه فيه باعه كما يبيع ما سواه من المغانم وإن كان كتاب شرك شقوا الكتاب وانتفعوا بأوعيته وأداته فباعها ولا وجه لتحريقه ولا دفنه قبل أن يعلم ما هو انتهى

قلت وهذه العبارة تدل دلالة واضحة على أن الإمام [illegible] الذي أحرق مكتبة الاسكندرية [illegible] الإمام الشافعي [illegible] من العلماء [illegible] من [illegible] حداً من [illegible] من قبيل الإجماع ولا [illegible] الإمام الشافعي [illegible] الإجماع [illegible] من عبارة الإمام الشافعي [illegible] لا ينكر [illegible] الذين [illegible] في ترجمة كتب الأعاجم التي [illegible] الأحكام [illegible] ومراد الشافعي من قوله فإن كان علماً من طب أو غيره لا مكروه فيه [illegible] مكروه [illegible] الشرع [illegible]

على ورق من القطن وفيه تاريخه في سنة ١٠٠٩ هو أقدم ما عرف من المخطوطات المحفوظة في مكاتب أوربا ودلّ على أن العرب كانوا أول من استخدموا [illegible] من الورق [illegible] وقد ثبت أن الصينيين كانوا يصنعون الورق من الحرير منذ زمان بعيد فدخلت صناعته إلى سمرقند منذ أوائل القرن الأول للهجرة حتى إذا جاءت العرب تلك المدينة [illegible] فيها معملا للورق ولكن هذا الاختراع الصيني يصعب الانتفاع به في أوربا لأن الحرير كان غير معروف فيها إلا إذا استعيض عن الحرير بمادة أخرى . وقد ظهر من البحث في مخطوطات العرب القديمة أنهم [illegible] في [illegible] من صنع الورق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أيضا [illegible] صنع الورق من الخرق وهو من اختراع العرب على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في البلاد وذلك لأن ورق الخرق عرف عند العرب قبل أن عرفه المسيحيون [illegible] اهـ

وبعد [illegible] [illegible] [illegible] الاكثر من [illegible] الكتب ولكنا [illegible] [illegible] كثيرا [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] ولكن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وفي هذا القدر الذي أوردناه كفاية في الدلالة على فضل مؤلفه والكتاب [illegible] من مكتبة [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] وعشرون [illegible] وصف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأوربية في القاهرة

* * *